

تمظهرات صورة اليهودي في الرواية العربية - التاريخ والاستشراف -  
رواية أنا وحايم نموذجاً

*Manifestations of the image of the Jew in the Arabic novel  
- History and Foresight The novel of me and Haim is a example*

د/ بن بغداد أحمد

قسم اللغة العربية وآدابها جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي - تسمسيلت (الجزائر)  
benbegdadaahmed21@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2022/04/01 تاريخ القبول: 2022/06/04 تاريخ النشر: 2023/03/15

ملخص:

تتغيا هذه الدراسة، الغوص في التاريخ لاستقراء الأحداث التي دارت في الجزائر إبان الفترة الاستعمارية، من خلال رواية أنا وحايم للحبيب السائح الذي حاول أن يصور الأحداث التي جمعت بين شخصيتين، عربية ويهودية، أزاحا عن طريقيهما كل الخلفيات الأيديولوجية، واتفقا على بناء علاقة يغلب عليها طابع التعايش من أجل رص صفوف المجتمع والتأكيد على أن الاختلاف هو صورة من صور الرقي الاجتماعي، وقد استعنت بالمنهج الوصفي التحليلي للكشف عن تمظهرات شخصية حايم في هذه الرواية، وإبراز التواشج القائم بين الشخصيتين، بعيدا عن كل المرجعيات التاريخية التي رسمت صراعا أزليا بين اليهود والعرب، ولم تترك أي مسافة لفكرة التسامح والتعايش.

الكلمات المفتاحية: الإيديولوجيا، التسامح، اليهودي، التاريخ، أنا وحايم.

**Abstract:**

The events that occurred in Algeria during the colonial era through the novel of Me and Haim the Habib Essaih who tend to conceive the relation that gathered two personality from different nationalities Arabic nationality and a jewish one deleted from their way all the ideological back grounds and the doctrinal struggles and they agreed the build a relation dominated by the feature of coexistence for maintaing the building of society and ensuring on that deference is a picture of the social to pictures and in this study used the descriptive and analytic methodology reveal the appearances of Haim's personality in their novel and demonstrate the harmony between the personality of the Arabic and the jewish far form the historial backgrounds that drew the eternal struggles conflict between Jews and Arabs and didn't let any space for the ideas of tolerance and co-existence.

**key words:** ideology, tolerance, the Jew, History, me and Haim

## مقدمة:

عرفت الرواية العربية المعاصرة جنوح بعض الروائيين العرب إلى توظيف شخصيات يهودية، لإبراز مدى إيجابياتها أو لإظهار سلبياتها في ظل أوضاع وأحداث تاريخية، وأمام راهن أحدث تمظهرات مختلفة لهذه الشخصية في النص الروائي، ومن أجل تقديمها للقارئ العربي في قالب دلالي متنوع، يستطيع على ضوئه هذا المثقف العربي استقراء الجوانب المضمرّة أو البارزة في هذه الشخصية، التي أضحت تمثل جدلاً عند القارئ.

ومنه هل يمكن للروائي العربي أن يجعل منها شخصية ذات أبعاد إيجابية أم سلبية؟ وهل صور الروائي الحبيب السايح\* شخصية حايم في روايته على أنها رمز للأخوة والسلام أم للعداء؟

## أولاً: مفهوم الصورة الروائية في النقد الروائي.

عمل الكثير من الروائيين والباحثين على الغوص في معترك الصورة، التي تعد المنفذ الذي يقرب فيه الروائي عمله وأحداثه إلى المتلقي، إذ بمخيلته ينظر إلى العمل الفني الذي استوطنه مكان الرواية والتمن الحكائي<sup>1</sup> لذا تغدو الصورة في العمل الروائي، هي صورة فنية وجمالية وإنسانية بينها التخيل ويحركها التصوير، وبالتالي فهي تعتمد الانزياح عن معايير العلمية السببية والقواعد الوثوقية، كما تميل إلى التحرر من صرامة المناهج النقدية ذات النزعة الوصفية التجريدية والموضوعية<sup>1</sup>.

وانطلاقاً من هذه الخاصية التي ميزت الصورة في العمل الروائي، أضحت بالتالي إحدى التقنيات التي يلجأ إليها الروائي لإعطاء ميزة خاصة لعمله الإبداعي، بحيث تفتح مجال الإمتاع وتضفي عليه الطابع الجمالي الذي يدنو من القارئ فيحدث ذلك التفافاً كلياً حول هذا المنجز الأدبي و"إن أغلب تلك الدراسات تكاد تتفق على اعتبار الصورة مرتكزاً لا بد منه لكشف جمالية الأدب، أي أنها تسعى للبحث عن قوانين الإبداع الفني من خلال استقصاء الخصائص التي ساعدت المبدع في إنتاج نصه"<sup>2</sup>.

وعلى هذا الأساس فلن يكتمل العمل الأدبي إلا من خلال لجوء الروائي إلى إلياس الأحداث السردية لبوس الصورة التخيلية مما يزيد في استوطان الجمال واكتساح أقصى فضاءات الرواية والتمن الروائي "مما يعني أن جمالية الصورة تتحقق وفق شروط نصية وأخرى غير نصية، تتكى على قدرة المبدع وعلى طاقة النص كما تتجلى أيضاً على مدى تفاعل المتلقي الذي يمارس بدوره مهمة ذهنية تعزل وتفكك الصور الروائية الكلية والجزئية بمختلف أبعادها الفنية والجمالية والتصويرية والتشخيصية بغية تأويلها جمالياً وبناء دلالاتها التخيلية"<sup>3</sup>.

لقد أحدثت الدراسات للنقد الروائي قفزة نوعية من خلال تجسيد مفهوم الصورة في العمل الروائي، والتركيز على الأسس الجمالية التي غارت في فضاء النص الأدبي لإلقاء خيوطها المحبوكة في تلافيق المتن الحكائي، "فالجمالية تتحقق من خلال متابعة العناصر الحكائية، والمقومات الفنية، وأدوات اللعب، ومفردات التقنية، والسرد والسارد، والمسرود له، والحوار، والفعل، والشخصية والمكان، والزمن، والرؤية، والدلالة، والحبكة، والمتعة، والأثر، وكل جمالية هي فتنة بطريقة أو بأخرى يجدها النقد في السرد"<sup>4</sup>.

فالصورة هي كُلاً متكامل تقتضي إفراغ كل عواملها داخل قالب المتن الحكائي للحصول على معايير جمالية، تفتح سبل الارتقاء بالعمل الروائي وجعله أكثر عطاء وجلباً للمتلقين، إن عالم الرواية يتطلب من الكاتب الإبحار بخياله في دروب النص لتبئير الصورة في زوايا مختلفة، والتي تكون رهن الإشارة للقارئ والباحث، لاستجلاء تمظهراتها وتشكلاتها.

يبدولنا جلياً أن الدراسات النقدية التي بإمكانها التفكير في الصورة، بصفتها تمثلاً، هي الدراسات التي تتشغل بتلقي النصوص، بحيث تصبح الصورة ذلك النشاط الذي يقوم به القارئ في تمثله لما يقرأ، فيقوم بالتالي ببناء صور عن الأمكنة والشخصيات.

إن صورة أنا وحايم بين متطلبات الصورة، وما رام الروائي استهدافه في هذه الرواية من خلال استذكار مرحلة سابقة، عرفت تواشجاً وتلاحماً كبيراً بين أطراف المجتمع الجزائري، فرغم المحن وحالة الفقر التي امتدت على كامل التراب الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، إلا أن ذلك لم يمس نسيج المجتمع بمختلف مكوناته، بل ظل متلاحماً منسجماً، وعليه فالحبيب السايح من منظوره الخاص، يحن كثيراً إلى تلك الأيام رغم صعوبتها، لأن أكثر ما يميزها هي الوحدة والتضامن التي ربطت كل أفراد المجتمع بمن فهم أجناس أخرى كاليهود، "فقد قضيت عطلي الأسبوعية نفسها في مكتبي بالبلدية عاكفا أنا وحايم على ملفات الأملاك الشاغرة، للتحقق من أنّ أصحابها من الأقدام السوداء والأوربيين قد غادروها نهائياً، ولرصد أسماء الأشخاص الذين استولوا على بعض تلك الأملاك وتفقد حال المزارع بمعاداتها وأنعامها ومخازنها التي خلفها الكولون"<sup>5</sup>.

لذلك فالحبيب السايح "ينظر ببصيرته نحو الماضي بهدف تحقيق التواصل الإنساني"<sup>6</sup>، الأمر الذي تركه، يسرد أحداث القصة في زمن وجود الاستعمار، والتواصل والاتصال الدائم الذي ربطه بحايم، حيث مرت السنون والأعوام بينهما، منذ الطفولة دون أن تبرز معالم الصراع، بحيث تجاوزا كل الصعوبات والعراقيل سواء أكانت ثقافية أم عقائدية من أجل ترسيخ الصداقة الحقيقية، وهو ما يظهر أن الروائي قد اختار أسلوب التسامح والحوار الثقافي كأهم مخرج من الصراع الإيديولوجي الذي يطبع الساحة الثقافية العربية بصفة خاصة

والإقليمية بصفة عامة، داعياً إلى تجاوز كل الخلافات التي لا تبني المجتمعات، بل تزيد من تصدع العلاقات بين الأمم، "وكنّت أديدت لحاييم تخوفي من أن الوقت سيدركنا، ونحن لم نركّب بعد حصيلة إجراءات لاقتراحها في اجتماع هيئة العمالة فطمأنني على أنه لا يزال أمامنا لذلك يوم آخر لنكون في الموعد، يلازمي شعور بالحسرة على أن حرب التحرير لم تكن وحدها التي نمت خميرة العبيثة كما الشأن في جميع الحروب ولكن اليد التي ترعاها الآن منذ أربعة أعوام".<sup>7</sup>

والرواية فيها من الأحداث المضمرة والأنساق الثقافية ما يوحي إلى أن الروائي كان يستهدف بقرائه لأحداث التاريخ، استقراء ما علا الثورة من أخطاء بحيث يرى "أن الرواية ترغب في أن تنسب التمجيد إلى من يستحقه من فئات الثورة دون حجب أو مصادرة لآخر، وأن تقبض على اليد التي اغتالت الشهادة وزيفت بيانات الواقع، واستمرت تمتد في أشكال عديدة من التشويه والتعريض وزرع الحزن والبؤس والفقر".<sup>8</sup>

إنها الرؤية والموقف الذي أبداه الحبيب السايح في خضم الهجرة الاضطرارية التي سيلجأ إليها حاييم كحل أخير، بعد أن تعرض لهجومات من طرف بعض الأشخاص الذين رأوا فيه عدوا للثورة الجزائرية، بحيث أن الثوار قاموا بأعمال غير إنسانية اتجاه بعض الأشخاص الذين أيدوا الثورة الجزائرية، فانتماؤهم العرقي دفع بعض الجزائريين إلى التهجم عليهم، لأنهم فقدوا فيهم الثقة "إن النسق الثقافي في خطر، وخطورته هي في كونه مضمرًا وكامنا حيث يمارس تأثيره دون رقيب، وحينما يأتي النقد لكشف هذه الأنساق فإنه بذلك يحرك سكونا ذهنيًا وبشريًا كان مطمئنًا، ومن ثم راضياً عن نفسه".<sup>9</sup>

لقد حركت الأحداث التاريخية أثناء وبعد الثورة الجزائرية الروائي على الخوض في غمار الكشف عن أحداث بقية بمثابة طابوهات لم يستطع المؤرخون كشفها، لذا حاول الحبيب السايح الخروج عن الصمت الذي لفّ هذه القضية وفتح ملف الأجنبي في الجزائر الذين قاموا بجهد كبير من أجل استقلالها، دون أن تكون لديهم رؤية إيديولوجية، بل سهروا على خدمة الثورة، وتقديم أعمال جلييلة لها.

من هنا بات جليلاً أن الحديث عن المتعاطفين مع الثورة الجزائرية كانوا لا يدخرون جهداً في تقديم يد المساعدة إلى الثورة، مبرزين حميم وانتماءهم إلى هذا الوطن العزيز المبيجل، فأحياء صورة المحيين للجزائر ولشعبها أثناء الاستعمار، يخرج هؤلاء المنسيين من التعقيم والتهميش الذي تعرضوا له.

ومن ثم ارتأى الحبيب السايح في روايته حمل آهات هؤلاء الأجانب، وتفرغها في روايته، مبدياً أسفه العميق لما أسفرت عنه الثورة الجزائرية من نكران جميل كل من خدمها، سواء من قريب أو من بعيد.

كما بين أن اختلاف الهوية ليس هو العائق الذي يقف أمام تشكل نسيج واحد ومنه الوقوف إلى جانب الحق ضد كل محاولات التمييز والتفريق وخلق الفتن ومن هنا نستشف أن الروائي أراد "أن يستشير ذلك الإرث الفلسفي والثقافي الإنساني الكبير في إطار علائق الأنا بالآخر والانحياز إلى فكرة التعددية والانفتاح"<sup>10</sup>.

وهذا ما يؤمن به الحبيب السايح في روايته، إذ يرى أن الواقع أضحى لا يخفي أي شيء وأنه حان الأوان لنسيان كل الأحقاد، والعودة إلى عالم تتساوى فيه جميع الأجناس دون اختلاف، ولذلك فصاحب رواية أنا وحايم لم تعد حركة الزمن هي التي تتحكم فيه، إثر الجدل الذي حدث بعد الثورة الجزائرية بإقصاء بعض المتعاطفين مع حرب التحرير من الانتماء إلى هذا المجتمع بل وضع أسلوباً آخر، وهو إعادة تشكيل هذا التاريخ وفق أسس سليمة، بعيداً عن التشكيك ومن ثم فالروائي "عليه أن يتمكن من توصيل شيء ما للقارئ من خلال هذا الوعي"<sup>11</sup>.

بدأت شخصية حاييم في الرواية حاملة لمشروع ثوري اختزل فيه الكاتب والروائي الحبيب السايح نظرة تاريخية على الانقلاب الذي حدث في الجزائر بعد الاستقلال، إذ كلما أمعنا النظر في الأحداث التي تصدرت المشهد السياسي بعد تحرير الجزائر من الاستعمار إلا وعرفنا أنّ أحداثاً مهمة بسطت بسيورتها على الواقع الذي ظهر على حين غرة، بحيث أن الثورة الجزائرية انحرفت من مسارها الصحيح والذي سطره قادتها قبل اندلاعها، حيث انتقلت السلطة من أصحابها الحقيقيين إلى فئة قليلة مارست الأعباء وحيلها لتسطو على أهم الإنجازات التي حققها الشعب ومعه القيادة الثورية الرشيدة.

إن حاييم باعتباره شخصية يهودية كان لها دور في مساعدة الثورة والثوار، فرغم جنسيته وانتماؤه إلى الطائفة اليهودية التي كانت مقيمة بالجزائر، إلا أنه كان من المؤيدين للثورة ومبادئها، ليقابل ذلك الفعل بفعل مضاد، قضى وتناسى كل ما فعله حاييم للثورة، وبذلك يكون الحبيب السايح قد حرك التاريخ بكتابته الجريئة، واستطاع أن يجلي النسيان والغموض الذي شاب هذه الفترة وليؤكد أن ثقافة اللاتسامح قد نثرت بذورها على بعض المحسوبين على الثورة، وعلى ضوء ذلك خسرت الثورة مبادئها، وأضحى ينظر إليها على أنها أنصفت فئة لم يكن لها دور في نجاحها وطمست أعمال وتضحيات أفراد قدموا للجزائر ولتاريخها كل ما يملكون، ليقابلوا في الأخير بثقافة النكران والإبعاد عن مقاليد السلطة أو يتم

تخونهم" وهذا الصوت الذي يرفض أن يكون صدى لغيره، يقترح رواية تكتب تاريخ المقموعين الذين لا يكتبون تاريخهم، رواية تنأى عن ثنائية النصر والسلطة، وتذهب إلى ثنائية الاغتراب الإنساني والبحث عن المعنى كي تحاور المشرق والمنتداعي"<sup>12</sup>.

لقد غيّب بعض المنتسبين للثورة الجزائرية الكثير من الأشخاص الذين خدموها سواء من قريب أو بعيد، إذ بات ينظر إليهم على أنهم مخادعون وخونة، "وكانت تريد أن أطمئنها، بعد أن راجت شائعات حول رحيل القلة المتبقية من الأوروبيين المسيحيين في المدينة، كالأخوات البيض وأحد المعلمين ومصّحّ أجهزة الراديو والقيّم على الأبرشية، ومن اليهود معلمة الاختزال والرقن وحايم نفسه"<sup>13</sup>.

فانتماؤهم لهذه الثورة وخدمتها يعتبر مجرد تزييف للحقائق، وهذا ما ينطبق على شخصية حايم، حيث العمل والدور الثوري الذي قام به إلا أن ذلك لم يشفع له لإنصافه وتقديم الشكر إليه باعتباره واحداً من الذين أدوا ما عليهم أثناء الثورة.

ثانياً: الأنا والآخر في الرواية.

تصدّر ضمير الأنا في رواية الحبيب السايح، فاخياره لهذا العنوان بتوظيف ضمير المتكلم، ما هو إلا حضوراً سردياً رأى فيه الكاتب تكثيفاً لوجوده والذي بات من الضروري الرجوع إليه لأن كل الأحداث سواء أكانت ظاهرة أو مضمرة تتعلق به، ثم أرفد ذلك بشخصية ثانوية أراد لها أن تكون مكملّة لأحداث القصة، فالتماهي بين الأنا والآخر في هذه الرواية مصدره القبول بفكرة الآخر وجعله عنصراً مرغوباً فيه، فأحداث القصة وبنائها ارتبطت بتبادل الأدوار بينهما، وهذا رغم أن الصورة التي يحملها أفراد المجتمع عن الآخر اليهودي، بوصفه رجلاً لا يهيمه إلا ذاته. وبديهي أن "استعمال أي من ضمائر السرد يقتضي وجود ثنائية الأنا والآخر، فعندما يكون الأنا هو السارد، تصبح الثنائية في موقع الوضوح والسطوح، فالأنا أنا، وجميع من يقع خارجها ينتهي إلى خانة الآخر"<sup>14</sup>.

وبالتالي فأرسلان نهض بحمل ثقيل في الرواية، إذ لعبت هذه الشخصية مركزية الخطاب الروائي بحيث أنها ترامت بين كل أحداث القصة مما يظهر أن ما وجدت من أجله هذه الشخصية كان هدفه الأول هو إظهار مدى سعيها لردّ الاعتبار لشخصية حايم اليهودية التي ظلمها المجتمع، وأضحت شخصية يتوجب الحذر منها، وأمام هذه الوضعية الصعبة التي بات يعيشها حايم ما كان على أرسلان من دور سوى إظهار هذا الجميل، والوقوف أمام كل محاولات التشويه التي طالت شخصية حايم وإخراجها من موقف معقد أضحت تعيشه، وبذلك يكون الحبيب السايح قد كسر طابو من طابوهات العلاقة الوطيدة التي ارتبطت بين الجزائريين واليهود، "فالغوص إلى الداخل واقتحام مغاور ما تحت الوعي، واستخدام صيغة الأنا

العميقة لتعرية الذات، بحيث يصبح للحلم والكابوس والهديان مضمون وشكل وفعلية أساسية<sup>15</sup>.

بينت عملية السرد والحكي التي مارسها الروائي في عمله الروائي على تمسكه بالاحترام والثقة المتبادلة بين الشخصيتين الروائيتين "وتوحي هذه المتعاليات النصية كأهمية القطيعة التاريخية مع عناصر التمثيل الثقافي من معتقدات وسواها من أجل سيرورة التواصل الحضاري مع الذات والآخر في خضم المتغيرات العاصفة والمتسارعة في ربع القرن الأخير"<sup>16</sup>.

ثالثاً: وعي الذات وعي الآخر في رواية أنا وحايم.

اتسمت العلاقة بين الشخصيات في الرواية بالتسامح والتعايش المبني على إدراك وفهم الآخر دون الدخول في سجال عقائدي أو عرقي، إذ توطدت بين الشخصيتين صلة متينة، لم تؤثر عليها الحقبات التاريخية الماضية أو الحاضرة، فلقد تشكلت بينهما صلة وشائج إذ بدى من المستحيل الفصل بين الشخصيتين لذلك بنى ونسج الروائي الحبيب السايح في متن روايته الاستمرارية والارتباط الوثيق بين أرسلان وحبيب بن ميمون، "ويستدعي حوار الحضارات، بناء على هذا الإطار النظري، المحدد استمرار التسامح والانفتاح واحترام الخصوصيات والاختلاف والتخفيف من التبشير العقائدي والأدلجة المصلحية مما يضر كثيراً أو قليلاً بوجود الآخر"<sup>17</sup>.

إذ كان من إفرزات هذه الرواية هي فكرة الروائي على دحض كل صور الصراع والتصادم التي انبنت عليها الوقائع التاريخية والأحداث السابقة التي ربطت اليهودي بالعداوة والكراهية التي يكنها لكل عربي دون تمييز، مما جعل الروايات السابقة يتسابق مؤلفوها لترسيخ جدلية الصراع بين الأنا والآخر، وحيثما ذكر اليهودي ووظف في هذه الروايات إلا وبرزت صورته أكثر قبحا وتهديداً للوجود العربي، لأنه في نظرهم أن هذا اليهودي قد خلق للحرب والقتل والتشريد وزرع الفتن "وتبدى حوار الحضارات في العناية بالمخصوصات الثقافية وعناصر التمثيل أعرافاً وطقوساً وتقاليد وأدياناً ومعتقدات... الخ، مما يحسن عمليات اندغام حوار الذات مع حوار الآخر استناداً إلى وعي التاريخ واستشراق المستقبل"<sup>18</sup>.

إذ مثلت هذه الرؤية النموذج الوحيد الذي يخرج الذات من صراعها التاريخي مع الآخر، ومنه رسم ملامح ورؤى جديدة، قوامها تبني الآخر وقبوله بعيداً عن الرفض الذي جعل العلاقة التاريخية والصراع لا يأتي بأي جديد، فاليهودي قد يكون إنساناً خيراً بعيداً عن الصورة النمطية والسلبية التي ارتبطت به، فهو قد لا يتفق مع الحركة الصهيونية التي تكن العداء في الكثير من الحالات لليهود الفئة المنحازة لقيم السلام والمحبة، "فاليهود الذين رفضوا الفكرة الصهيونية كانوا أيضاً ضحاياها، ولقد دفعوا ثمناً باهضاً، حيث تحولت حياتهم إلى جحيم لا يطاق"<sup>19</sup>.

إن فكرة خضوع اليهود كلهم إلى التعصب والتطرف الصهيوني حكم فيه إجحاف كبير، والواقع يكذب ذلك، بحيث إن فئة من اليهود يعارضون السياسة الصهيونية، وتجدهم يتعاطفون مع الكثير من القضايا الإنسانية كالقضية الفلسطينية والقضايا العادلة في العالم، وحجتهم في ذلك أن خطاب التسامح والمحبة والسلام مرجع قد يجنب البشرية ويلات الحروب والانقسام.

شكلت صورة الأنا والآخر في رواية الحبيب السايح بعداً إنسانياً في جوهره، بحيث استطاع أن يبدي تلك الصورة النمطية التي ارتبطت بالآخر اليهودي الذي يسعى دائماً لإلحاق الشر والضرر بالغير، إذ تملئ عليه نفسه الشريرة القيام بأدوار أقل ما يقال عنها أنها عدوانية، وهذا ما صورته الكثير من الروايات السابقة ولكن الأمر اختلف بداية من سنة 2000 وخاصة بعد اتفاقيات السلام، إذ تحول خطاب ال أنا العربي للآخر اليهودي إلى نوع من التهذبة، فألفينا الكثير من الروايات قد شحنت صورة الآخر بدلالات المحبة والبراءة.

وبالتالي أعيد ترتيب مواقع هذه الشخصية، وتتحول بين الفينة والأخرى من شخصية منبوذة متهمه بالتمييز وإلحاق الأذى بالآخر، إلى شخصية محبوبة "إذ قدمت الآخر اليهودي بصفته إنساناً، ولم تحشره في قالب نمطي، يبرزه في صورة كرهية جامدة، وبذلك حاولت عدم انتزاعه من سياقه الإنساني"<sup>20</sup>.

وبذلك تكون الكثير من الروايات قد خرجت عن المؤلف، واتضح أن عواملها الداخلية حملت في طياتها بناء صورة أخرى، يتفادى فيها صفات المكر والخداع والضعيفة للأنا العربية، الأمر الذي جعل من الروائيين العرب يحملون على عاتقهم تغييراً كلياً لصورة الآخر اليهودي، "وبذلك تعيش الأنا العربية طفولتها بعيداً عن السياق التاريخي بكل نكباته وهمومه لذلك لم تر في الآخر عدواً عليها الابتعاد عن أذاه بل رآته حبيباً عليها الاقتراب منه"<sup>21</sup>.

أفرغت جل الروايات الأنا العربي مع الآخر اليهودي من إفرزات العدوانية والكرهية، ورامت خلق عالم تسوده أواصر العلاقة المتينة، تختفي فيه كل صور التصادم، وبذلك عمل الروائي العربي على تصدر المشهد الإنساني، ونفخ صورة جديدة حديثة يتبغى فيها التقارب الإنساني متجاوزاً كل الإكراهات التي غطت أغلب الأعمال الروائية للكثير من الروائيين "إن تجاوز نمطية الآخر العدو يحتاج إلى علاقات إنسانية تستطيع أن تحرر الذات من ضغط التفكير السائد الذي تشكله الذاكرة الجمعية للعربي، بما تختزنه من أوجاع التاريخ"<sup>22</sup>.

لقد حقق الروائيون العرب وثبة في إعادة تشكيل صورة الآخر، ففي منظورهم أن الانعتاق من الصورة التقليدية القديمة القائمة على كراهية الآخر ليس بالحل الأمثل، بل تزيد العلاقة تعقيداً، إنها تروم معالجة الألم الذي طال، وأضحى يمثل عقبة لتبديد تلك الخصومات



"كان القبول بفكرة الحقائق المتجددة أو الوجوه المتباينة المختلفة للحقيقة الواحدة خطوة كبيرة إلى الأمام في إطار علائق الأنا بالآخر، فالقبول بالآخر بما هو عليه بدأ ممعنا في الاختلاف والتغاير عن الأنا، نشأ وترعرع على هذه الأرضية الفلسفية الذاتية إلى تعددية الحقائق"<sup>23</sup>.

من هنا يظهر جليا أن الخطاب الروائي الذي اعتمد وارتكز عليه معظم الروائيين ينحو إلى إزاحة الماضي وبناء علاقة جديدة غير مضطربة، تتبنى الصفاء في التواصل ودحض كل محاولات التشويه سواء من الأنا العربي أو الآخر اليهودي.  
رابعا: مساءلة التاريخ واستشراق المستقبل.

من المطارحات الفكرية التي طرحها الحبيب السايح في رواية أنا وحايم، الالتفات إلى التاريخ الجزائري الذي يعد مرحلة مهمة من الهوية الثقافية للفرد الجزائري، إذ كلما عدنا إلى هذا التاريخ إلا وزدنا معرفة واكتشفنا العلاقة المميزة التي انبسطت بين اليهود والعرب، وممثلا في الفرد الجزائري، فقلد عاش اليهود والعرب جنبا إلى جنب دون صراعات إثنية أو عقائدية، بل توطدت العلاقة بينهم، حيث تعاملوا في الجانب التجاري بعيدا عن الصراعات الإيديولوجية، وخير دليل على ذلك أن الكثير من الأحياء في الجزائر أقام فيها اليهود.

"وخلال شرب الشاي، لم نكد نتحدث سوى عن البلدية التي أبدى لي حاييم اشتغاله عنها بعدي. وقال: لأنها تتطلب مزيدا من الجهد والوقت من أجل إعادة بناء علاقتها مع مواطنيها لتكون في خدمتهم.

- لم نقصر.

- لا أعتقد."<sup>24</sup>

إن الحبيب السائح في روايته، يروم إحياء الماضي التليد، القائم على أساس التوازنات الثقافية والتعايش الذي عرفه الوجود اليهودي في الجزائر، إذ إن الفترة التي وجد فيها اليهود تعود إلى ما قبل دخول القوات الفرنسية الغازية إلى الجزائر، فلم تكن حروبا ونزاعات بينهما، بل اتسمت بالأخوة والاحترام الثقافي والعقائدي بين الطرفين، وهذا ما كان يصبو إليه الحبيب السائح في روايته، حيث رام توضيح رؤيته ومنظوره الخاص من خلال تحريك الماضي والنبش في ثرواته، مؤكدا على أن هذه الفترة هي جزء من تاريخ لا ينسى.

"الروائي ينظر بإحساسه الفني إلى التاريخ على أنه المادة التي يستطيع عبرها تصوير رؤيته للواقع، والتعبير عن تجربة من تجاربه، وهو بذلك لا يكتب التاريخ، بل يقيم معالم له"<sup>25</sup>، وبذلك تنطلق كتابة الحبيب السائح لهذه الرواية من خلال استرجاع محطة من محطات تجلت فيها الحياة بألمع صورها عندما جمعت بين العرب واليهود.

يسعى الحبيب السائح في روايته إلى تجاوز كل الأطروحات التي صورت اليهودي في صورة العدو الذي لا يؤتمن جانبه، وأراد في هذا المنجز الروائي أن يعيد إدماج بعض الجنسيات في المجتمع الجزائري ، ليس من منظور إيديولوجي، لأن هذه الفكرة قد نخلق صدمات عنيفة في المجتمع، وقد تؤدي إلى تطورات خطيرة قد تنسف به في أي لحظة، ولكن من وجهة نظر قائمة على تشجيع السلم الاجتماعي ونبذ الكراهية التي لن تزيد إلا في انتشار العنف وعدم قبول الآخر "فالكاتب هو سيد النص، هو الذات التي تسيطر على موضوعها، ولا تخضع في عملية ممارسة الكتابة لأية شروط خارجية، اجتماعية أو إيديولوجية أو بعبارة أخرى فإن الذات المبدعة تستقل استقلالاً غير مشروط عن الأيديولوجية"<sup>26</sup>. وبأي حال من الأحوال، فإن رواية الحبيب السائح تستشرف المستقبل، بحيث يريد صاحبها أن يرتقي بالخطاب إلى أفق مفتوح، يتحرى فيه إقصاء كل الأطراف الراضية لمشروع بناء مجتمع تذوب فيه كل الفوارق الاجتماعية والإيديولوجية .

خاتمة:

إن محاورة رواية أنا وحايم واستنطاق عواملها، قد كشف أن الروائي سعى إلى تحريك دواليب التاريخ في البداية، باعتبار اليهود جزءاً من تاريخ الجزائر بصفة خاصة، والمغرب العربي بصفة عامة، ولكنه مال إلى طبقة اليهود المسلمين الذين يقاسمون العرب همومهم واهتماماتهم، لأن هناك فئة منهم تكن العداء للصهيونية، ولا تتفق معها لأن هذه الأخيرة حركة متعصبة تنشر الكراهية والعداء بين البشر دون استثناء.

وأتى الروائي الحبيب السائح توضيح صورة اليهود في الجزائر من خلال إقبال بعضهم على مساعدة الثورة أولاً، ثم الوقوف إلى جانب الإدارة بعد الاستقلال، وهو بذلك يريد أن ينشر سبل السلام والمحبة والتعايش بين كل أفراد المجتمع الجزائري دون تمييز، ويرى أن ثقافة التسامح هي السبيل الوحيد للقضاء على كل أنواع التعصب والتمييز والتفرقة في الحاضرة والمستقبل.

حوت الرواية الكثير من الرؤى سواء كانت تاريخية أو مستقبلية، ففي الجانب التاريخي أعطى الحبيب السائح نظرة عن التآلف والتواشج الذي جمع بين الجزائريين المضطهدين واليهود المهاجرين من الأندلس المستوطنين بالجزائر، إذ حملوا نفس المشروع هو بناء مجتمع خال من العبودية والاضطهاد، مجتمع يحلم فيه الجميع ببناء وطن يجمع المقهورين تاريخياً. الحبيب السائح روائي ينظر بعين بصيرة إلى المستقبل، فهو يرى أن ما يجب أن يدركه الجميع هو أنه لا مفر من سلام يقرب كل الفئات والأجناس سواء في الجزائر أو في مناطق أخرى

من العالم، كما أن الروائي من الذين ينادون بإعادة كتابة التاريخ الجزائري وإرجاع لكل دي حق حقه، ويخص بالذكر الذين ساندوا وتعاطفوا مع الثورة الجزائرية من أجناس مختلفة.

## الهوامش:

\* - كاتب وروائي جزائري من مواليد 1950م، حصل على ليسانس في الأدب من جامعة وهران، من أعماله الإبداعية: رواية الحنين 1997، رواية تماسخت 2002، رواية تلك المحبة 2002، رواية مذنبون.. لون دمهم في كفي 2009.

<sup>1</sup> - العيد جلوي، الصورة الروائية في إبداعات الحبيب السائح، رواية تلك المحبة أنموذجا، مجلة الأثر، ص 101.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 105.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 102.

<sup>4</sup> - حسين المناصرة، أطيفاف في النقد الروائي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2017، ص 69.

<sup>5</sup> - الحبيب السايح، أنا وحايميم، دارميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2018، ص 285.

<sup>6</sup> - حسن سالم هندي إسماعيل، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2014، ص 16.

<sup>7</sup> - الحبيب السايح، أنا وحايميم، ص 286.

<sup>8</sup> - دريد يحي الخواجة، إشكالية الواقع والتحويلات الجديدة في الرواية العربية، اتحاد كتاب العرب، سوريا ط 2000، ص 46.

<sup>9</sup> - صلاح صالح، سرد الآخر وأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط 1، 2003م، ص 67.

<sup>10</sup> - المرجع نفسه، ص 68-69.

<sup>11</sup> - روبرت همفري، قراءة محمود الربيعي، دارغريب، ط 2000، ص 111-112.

<sup>12</sup> - فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط 1، 2004م، ص 83.

<sup>13</sup> - الحبيب السايح، أنا وحايميم، ص 301.

<sup>14</sup> - صلاح صالح، سرد الآخر وأنا والآخر عبر اللغة السردية، ص 63.

<sup>15</sup> - عبد الله أبو هيف، صورة الآخر والحوار بين الحضارات في الرواية العربية، مجلة جامعة دمشق، مج 24، ع 3/2008، ص 110.

<sup>16</sup> - المرجع نفسه، ص 110.

- 17- المرجع نفسه، ص114.
- 18- المرجع نفسه، ص109.
- 19- عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية، جدل الذات والآخر، الرقمية، فلسطين، ط1، 2012م، ص128.
- 20- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، الكويت، مارس 2013م، ص104.
- 21- المرجع نفسه، ص107.
- 22- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص121.
- 23- صلاح صالح: سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية، ص69.
- 24- الحبيب السايح، أنا وحايميم، ص305.
- 25- حسن سالم هندي إسماعيل، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، ص18.
- 26- إبراهيم عباس، الرواية تشكل النص السرد في ضوء البعد الأيديولوجي، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1، 2014، ص47.

#### قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم عباس، الرواية تشكل النص السرد في ضوء البعد الأيديولوجي، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1، 2014.
2. الحبيب السايح، أنا وحايميم، دارميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018.
3. حسن سالم هندي إسماعيل، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014.
4. حسين المناصرة، أطراف في النقد الروائي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017.
5. دريد يعي الخواجة، إشكالية الواقع والتحويلات الجديدة في الرواية العربية، اتحاد كتاب العرب، سوريا ط2000.
6. روبرت همفري، قراءة محمود الربيعي، دار غريب، ط2000.
7. صلاح صالح، سرد الآخر الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط1، 2003م.
8. عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية، جدل الذات والآخر الرقمية، فلسطين، ط1، 2012م.
9. عبد الله أبو هيف، صورة الآخر والحوار بين الحضارات في الرواية العربية، مجلة جامعة دمشق، مج 24، ع3/2008، ص109-110-114.

10. العيد جلولي، "الصورة الروائية في إبداعات الحبيب السائح، رواية تلك المحبة أنموذجا"، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، ع30، جوان 2018م، ص101-102-105.
11. فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط1، 2004م.
12. ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، الكويت، مارس 2013م.